

مواضع تفسير القرآن بالقرآن في تفسير من وحي القرآن للسيد فضل الله

Instances of Interpreting the Quran with the Quran in 'Tafsir Man Wahy al-Quran' by Sayyid Fadlallah

الأستاذ الدكتور سيد رضا مؤدب أستاذ علوم القرآن والحديث جامعة قم

الأستاذ المساعد الدكتور محمد رضا عزتي أستاذ علوم القرآن والحديث جامعة قم

طالب الدكتوراه محمد عماد صلاح دليمي

الجمهورية الإسلامية الإيرانية / جامعة قم كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية

muhmae1993@gmail.com

Prof. Dr. Seyyed Reza Moaddab

Professor of Quranic and Hadith Sciences, University of Qom

Reza@moaddab.ir

Asst. Prof. Dr. Mohammad Reza Ezzati

Professor of Quranic and Hadith Sciences, University of Qom

mr.ezzati@qom.ac.ir

PhD Candidate Mohammad Imad Salah Dulaimi

Islamic Republic of Iran / University of Qom, Faculty of Theology and Islamic Studies

muhmae1993@gmail.com

ملخص البحث

كشف البحث عن حضور واضح لمنهج تفسير القرآن بالقرآن في تفسير «من وحي القرآن»، إذ وظّف السيد فضل الله الآيات القرآنية في بيان معاني الآيات الأخرى، وتحديد دلالاتها، وإزالة ما قد يعتري فهمها من إشكال أو غموض تنوّعت مواضع تفسير القرآن بالقرآن في التفسير المدروس، فلم تقتصر على بيان المفردات والألفاظ، بل شملت تفسير الآيات بالآيات، وتوضيح المجمل بالمبين، وتقييد المطلق، وتخصيص العام، والكشف عن وحدة الموضوع القرآني وترابطه أظهر السيد فضل الله عنايةً بالسياق القرآني، بوصفه عنصراً أساسياً في فهم النص، فلم يتعامل مع الآية بمعزل عن نظائرها، بل سعى إلى استحضار الآيات ذات الصلة، وربط دلالاتها ضمن وحدة قرآنية متكاملة، أسهم منهج تفسير القرآن بالقرآن في «من وحي القرآن» في إبراز البعد الموضوعي والفكري للخطاب القرآني، ولا سيما في القضايا العقدية والتشريعية والأخلاقية والاجتماعية، مما أتاح قراءة تتجاوز المعنى الجزئي إلى استجلاء الرؤية القرآنية الكلية. الكلمات المفتاحية : التفسير ، القرآن بالقرآن ، من وحي القرآن ، السيد فضل الله .

Abstract

The research revealed a clear presence of the method of interpreting the Qur'an by the Qur'an in the interpretation "From the Inspiration of the Qur'an," as Sayyid Fadlallah employed Qur'anic verses to explain the meanings of other verses, clarify their indications, and remove any ambiguities or misunderstandings that might arise in their comprehension. The instances of interpreting the Qur'an by the Qur'an in the studied interpretation were varied; they were not limited to explaining words and phrases but also included interpreting verses with other verses, clarifying the unclear with the clear, restricting the general statement, specifying the general, and revealing the unity and interconnectedness of Qur'anic topics. Sayyid Fadlallah showed careful attention to Qur'anic context as an essential element in understanding the text, treating each verse not in isolation but seeking to bring relevant verses and link their meanings within an integrated Qur'anic unity. The methodology of interpreting the Qur'an by the Qur'an in "From the Inspiration of the Qur'an" contributed to highlighting the objective and intellectual dimension of Qur'anic discourse, particularly in

matters of creed, legislation, ethics, and social issues, allowing for a reading that goes beyond a partial meaning to grasp the overall Qur'anic vision .

Keywords: Interpretation, Qur'an by the Qur'an, From the Inspiration of the Qur'an, Sayyid Fadlallah

المقدمة

يُعَدُّ القرآن الكريم المصدر الأول في فهم العقيدة والشريعة والقيم والأخلاق، وقد حظي تفسيره وبيان معانيه بعناية كبيرة منذ عصر نزوله، فتتوّعت المناهج والأساليب التي اتبعها المفسرون في الكشف عن دلالاته وبيان مراداته. ومن أبرز المناهج التفسيرية التي اكتسبت أهمية خاصة منهج تفسير القرآن بالقرآن، القائم على الاستعانة بالآيات القرآنية بعضها ببعض، وردّ المتشابه إلى المحكم، وتفسير المجمل بما يوضحه في موضع آخر، بما يجعل القرآن الكريم في مقدمة مصادر فهم نصّه ودلالاته. وتتبع أهمية دراسة تفسير القرآن بالقرآن عند السيد فضل الله من كونها تكشف عن جانب أساسي من منهجه في التعامل مع النص القرآني، كما تبين مدى حضوره في تفسيره، والآليات التي اعتمدها في توظيف الآيات بعضها في فهم بعض. ولا تقتصر أهمية هذا المنهج على الجانب النظري، بل تتصل كذلك بكيفية بناء المعنى القرآني وربطه بسياقاته المختلفة، الأمر الذي يجعل دراسة تطبيقاته في «من وحي القرآن» مدخلاً مهماً لفهم خصوصية التجربة التفسيرية للسيد فضل الله. ومن هنا يسعى هذا البحث إلى دراسة منهج تفسير القرآن بالقرآن في «من وحي القرآن»، من خلال بيان مفهوم هذا المنهج وأهميته، والتعرّف إلى أسسه وطرائقه عند السيد فضل الله، ثم الوقوف على أبرز تطبيقاته التفسيرية وتحليل نماذج منها؛ للكشف عن مدى فاعلية هذا المنهج في استجلاء المعاني القرآنية، وبيان خصائصه ومميزاته في التجربة التفسيرية المعاصرة.

بيان المسألة

إن فهم القرآن وتطبيقه أولى من حفظه، ولحفظه أجر عظيم، لذلك نرى أهل الخير يهتمون بذلك، ومن أراد أن يحفظ القرآن وعنده إرادة وعزيمة صادقة فليبدأ من حيث شاء وكل له اجتهاده وحجته.. ولكن كثيراً من الذين يبدؤون يفاجؤون بصعوبة الاستمرار. إبراز هداية القرآن الكريم، والتأكيد على أن الهدف الأول من إنزال القرآن هو هداية الناس، والأخذ بأيديهم إلى الله تعالى، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وذلك من خلال إبراز الدروس المستفادة من السورة الكريمة، وتحديد تفسير القرآن بالقرآن في كتاب من وحي القرآن للسيد فضل الله.

تساؤلات البحث السؤال الرئيسي: كيف فسر القرآن بالقرآن في كتاب من وحي القرآن؟

فرضيات البحث: هناك تفسير القرآن بالقرآن في كتاب من وحي القرآن.

هدف البحث: يهدف البحث الحالي الى التعرف على تفسير القرآن بالقرآن في كتاب من وحي القرآن .

منهج البحث :

يعتمد البحث الحالي المنهج التحليلي، وذلك من خلال بيان الأصل اللغوي للكلمة، ثم المعاني الجديدة التي تطورت إليها الكلمة واستعملت فيها ونبين ذلك من خلال مظاهر إعجاز السورة الكريمة التي وقفنا عندها ملياً تطور الدلالة، فلفظة (القلائد) مثلاً تدل أساساً على ما يُقلد به الهدى من لحاء الشجر، ثم أصبحت اللفظة تدل على الهدى المقلد ذاته .

ثمرات البحث :

لقد تعددت الاجراءات المتوجهة للوصول الى المعاني المتولدة من داخل البناء اللغوي المتميز وصولاً الى تعدد مستوياتها وطرائق تولدها، وقد اظهر لنا البحث ان تلك الاجراءات كانت في أطر الاجراءات التفسيرية والاجراءات التأويلية، ولئن كان الاجراء التفسيري يعنى بالوصول إلى الوضوح وإزالة العقبات التي تعترض عملية القراءة وتظهر على سطح النص، وتوجب التوضيح، فقد عني الاجراء التأويلي بتعدد المعنى وقابلية البنى اللغوية على مضاعفة المعاني من خلال عملية الاستنباط التي هي قوام الفعل التأويلي. ويعترف الاجراء التأويلي بالاجراء التفسيري بوصفه مرحلة يستدعيها (الفهم) الذي هو غاية التأويل لانه (فن الفهم)، وبذلك يكون مجال حركة التأويل منفتحاً موازنة بمجال حركة التفسير. ان التأويل إجراء فعلي يقوم على تفاعل الظاهر والباطن فالطاقة الإيجابية للغة التي تهدف إلى تحقيق التأثير في المتلقي بحضورها وغيابها الدلالي أسست منهاجاً تواصلياً متفاعلاً داخل النص بتحريك المتلقي لطاقتها المخبوءة وهذه الحركة بدت من خلال اتجاهين، الأول: باطن لازم للفظ لا بد منه، والثاني: باطن حر يبنى بناءً من عملية الاستنباط، ويعتمد الانسجام داخل البناء الكلي للنص، وهو وثيق الصلة بسياق المقال والمقام، فهناك ظاهر لا يكتفي بنفسه إلا انه ثري بمعانٍ تستنبط من تفاعله مع البنى الكبرى وتحرك داخل البناء اللغوي .

المبحث الاول :التعريف بتفسير من حي القرآن ومؤلفه

التفسير لغةً هو الكشف والإظهار ، وفي الشرع توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها والسبب الذي نزلت فيه ، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة (١) ان نشوء التفسير كان مبكراً مع نزول القرآن الكريم اذ فسر الرسول الكريم ﷺ الآيات القرآنية غير الواضحة ولذلك فقد عد الرسول أول مفسر ، وقام الصحابة رضي الله عنهم بتولي مهمة التفسير بعد وفاته واشتهر منهم عشرة هم : الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير ، ثم جاء بعدهم التابعون بعد ان تتلمذوا عليهم ، وأصبح أهل مكة أعلم الناس وذلك لانهم أصحاب عبد الله بن عباس وثم أصحاب ابن مسعود في الكوفة وعلماء أهل المدينة (٢) ثم جاء بعدهم تابعوا التابعين وأخذوا منهم فتطور هذا العلم وبرزت فيه ثلاث مدارس وهي :

اولاً : مدرسة التفسير بالمأثور : وتعتمد على الكتاب والسنة وكلام الصحابة في تفسير آيات القرآن الكريم وقد سارت على الطريقة التي كانت سائدة منذ عهد الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين (٣) .

ثانياً : مدرسة التفسير بالرأي : تعتمد على الاجتهاد (٤) وعلى المفسر ان يكون على اطلاع واسع بالقرآن والسنة واقوال الصحابة وله اطلاع بعلوم اللغة العربية والعلوم الأخرى المساعدة للتفسير (٥) ومن المعروف ان القرآن الكريم يدعو إلى الاجتهاد في تفسير آياته ، قال تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (٦) .

ثالثاً : مدرسة التفسير بالتأويل : تعتمد على تفسير الآيات القرآنية واعطائها معنى غير المعنى الظاهري، مثل:تفسير الفرق الإسلامية كالمعتزلة والمتصوفة والباطنية ويسمى التفسير الاشاري (٧) .

بدأ علماء التفسير بخطوة أكثر تقدماً إلى مفهوم هذا اللون من التفسير حيث قاموا بجمع الآيات القرآنية التي تتدرج تحت مبحث من مباحث علوم القرآن وصنفوا فيها كتباً مستقلة بهذه المباحث القرآنية ، مثال ذلك ما فعله القاسم بن سلام - أبو عبيد - حيث ألف كتاباً في "الناسخ والمنسوخ" ، وألف يحيى بن سلام البصري كتاباً في "الأشباه والنظائر" وكان ذلك في بداية القرن الثالث الهجري ، وفي القرن الخامس ألف الماوردي كتاباً في "أمثال القرآن" ، وفي القرن السابع ألف العز بن عبد السلام كتاباً في "مجاز القرآن" ، وفي القرن الثامن ألف ابن القيم كتاباً في "أقسام القرآن" . وهكذا تتابع التأليف والجمع للآيات المرتبطة برباط واحد وتخدم قضايا وموضوعات متعلقة بالقرآن الكريم مما يمثل مرحلة أكثر تقدماً تجاه التفسير الموضوعي وإن لم تكن قد بلغت غايتها ولم تكن قد استوت على سوقها في تمثيل نظرية التفسير الموضوعي .

يضاف إلى ذلك ما جمعه الفقهاء من الآيات ذات الموضوع الواحد فيما يتعلق بأحكام القرآن فجمعوا في كتبهم ما يتعلق بالوضوء والتميم تحت كتاب الطهارة ، واستنبطوا منها الأحكام الخاصة بها ، كما جمعوا ما ورد في الصلاة وقيامها وركوعها والقراءة فيها تحت كتاب الصلاة ، وما يتعلق بالصدقات والأموال ومصارفها تحت كتاب الزكاة ... وهكذا في سائر أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والفرائض وغيرها ... مثال ذلك كتاب "أحكام القرآن" الذي ألفه أبو بكر الجصاص ، وكتاب "أحكام القرآن" الذي ألفه ابن العربي المالكي ، وكتاب "أحكام القرآن" الذي ألفه إلكيا الهراسي الشافعي وغيرها ... وكل ذلك هو لون من ألوان التفسير الموضوعي في مراحل الأولى (٨) .

واستمرت هذه الجهود جيلاً بعد جيل ، وعصراً بعد عصر ، وكلما توالى العصور كلما كانت الحاجة إلى بروز هذا اللون من التفسير أكثر ، حتى جاء العصر الحاضر بما فيه من مآسٍ ونكباتٍ حلت بالأمة الإسلامية أبرزها وأخطرها القضاء على الخلافة الإسلامية من خلال التآمر عليها من أعدائها ، وتلك الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين في كل مكان وبالذات أرض المحشر والمنشر أرض الشام أرض فلسطين أرض الرباط إلى يوم الدين وتدنيس المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية ، كل ذلك دفع العلماء المسلمين إلى أن يقاوموا هذا الاعتداء بأقلامهم ودمائهم مستلهمين الخلاص وطريق النجاة من القرآن ذاته فألفوا مجموعة من الدراسات القرآنية التي تعالج هذا الواقع العام للمسلمين وما يجد فيه من قضايا معاصرة . يقول الدكتور صلاح الخالدي : "وعندما نتكلم عن الدراسات القرآنية المعاصرة القريبة من التفسير الموضوعي الذي نتكلم عنه ، فإننا نعني تلك الكتب والدراسات الخاصة بموضوعات وأفكار وحقائق وتوجيهات القرآن والتي تدور حول القرآن ولا تخرج عنه إلى باقي مصادر الإسلام الأخرى كالحديث والفقه والعقيدة والتاريخ واللغة وغير ذلك .

وقد كثرت البحوث والدراسات القرآنية حول قضايا معاصرة فرضتها حاجة الناس في هذا العصر من أمثلة ذلك "اليهود في القرآن" لمحمد عزة دروزة ، ومنها "المرأة في القرآن" لعباس محمود العقاد ، ومنها "ظاهرة النفاق في القرآن" لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، وغيرها كالصبر في القرآن ، والرحمة في القرآن ، والأخلاق في القرآن ... ومع ذلك نجد الدكتور صلاح الخالدي لا يعتبر مثل هذه الدراسات نماذج تمثل التفسير الموضوعي لأنها لا تسير على الخطة النموذجية للتفسير الموضوعي ، ولا تلتزم بالمنهج الموضوعي للتفسير ، ولهذا يعتبرها

دراسات قرآنية نافعة تبحث في بعض موضوعات القرآن^(٩)، ونجد الدكتور الخالدي يضع خلاصةً يحكم من خلالها على الجهود السابقة فيقول: «وخلاصة هذا المبحث أن التفسير الموضوعي مصطلح معاصر، وأن البحث فيه والكتابة فيه من باب تلبية حاجات مسلمي هذا العصر، وأن السابقين لم يعرفوه بالصورة التي نعرفها نحن الآن وأنهم كانوا مشغولين بالتفسير التحليلي وفق ترتيب الآيات والصور في المصحف، وهذا لا يعيبهم، ولا ينقص من قدرهم، لأنهم حققوا حاجات مسلمي عصرهم، ولا نطالبهم أن يرتقوا لمستوى حاجاتنا المتجددة^(١٠)».

أولاً: التعريف بالمؤلف

السيد محمد حسين فضل الله (ت ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) عالم ومفسر وفقه ومفكر إسلامي لبناني، ومن أبرز مؤلفاته في علوم القرآن كتاب «من وحي القرآن». وقد عُرف باهتمامه بالقرآن بوصفه كتاب هداية وحركة وإصلاح، مع التركيز على ربط الآيات بواقع الإنسان والمجتمع. وتذكر الفهارس العلمية وفاته سنة ١٤٣١هـ، كما تثبت نسبة التفسير إليه^(١١).

ومن الناحية العلمية، يُصنّف «من وحي القرآن» ضمن التفاسير التي تجمع بين التفسير اللغوي والكلامي والأدبي والاجتماعي والفقهية، ولذلك لا يقتصر على بيان المعنى اللغوي للآية، بل يحاول استنطاق دلالاتها الفكرية والتربوية والاجتماعية^(١٢).

ثانياً: التعريف بتفسير «من وحي القرآن»

يُعد «من وحي القرآن» تفسيراً موسوعياً للقرآن الكريم، يمتد في طبعته المتداولة إلى ٢٤ مجلداً. وتختلف أعداد الصفحات قليلاً بحسب الطبعة والفهرسة الإلكترونية؛ فمثلاً يسجل أحد الفهارس للمجلد الأول ٢٨٣ صفحة، بينما تسجل بعض الفهارس الأخرى ٢٧٥ صفحة للمجلد نفسه، ولذلك ينبغي عند التوثيق الأكاديمي تحديد الطبعة المعتمدة.

وقد وضع المؤلف في بداية التفسير مقدمة بعنوان «تأملات في المنهج البياني للقرآن»، ثم مقدمة أخرى للطبعة الأولى. وفي المجلد الأول تبدأ المقدمة الثانية في الصفحة ٥، ومقدمة الطبعة الأولى في الصفحة ٢٣، ثم يبدأ تفسير سورة الفاتحة في الصفحة ٧ بحسب ترقيم الكتاب^(١٣).

ثالثاً: منهج المؤلف في التفسير

- يمتاز تفسير «من وحي القرآن» بمنهج واضح في معالجة السور والآيات. ومن أبرز ملامحه:
- بيان أجواء السورة وموضوعها: يبدأ المؤلف في مواضع كثيرة ببيان مكية السورة أو مدنيّتها، وعدد آياتها، وموضوعاتها العامة.
- شرح المفردات القرآنية: يخصص فقرات بعنوان «معاني المفردات» لشرح الألفاظ ودلالاتها.
- تفسير الآيات ضمن مجموعات: لا يفسر الآية بمعزل تام عن سياقها، بل يتناول مجموعة من الآيات ويبحث في ترابطها ودلالاتها.
- البعد الاجتماعي والحركي: يهتم بإبراز كيفية استفادة الإنسان والمجتمع من الهداية القرآنية، وربط النص القرآني بقضايا الواقع.
- المناقشة الفكرية والعقائدية: يناقش بعض الآراء التفسيرية والعقيدية ويعرض وجهة نظره فيها.
- الاستفادة من اللغة والسياق: يعتمد على الدلالة اللغوية والسياق القرآني في فهم الآيات، مع الاستفادة من الروايات والتراث التفسيري.
- استخراج الإحياءات التربوية: كثيراً ما يختم بحث الآيات ببيان ما يمكن أن يستفاد منها في تربية الفرد وحركة المجتمع^(١٤).

رابعاً: مثال على طريقة التفسير

في المجلد الأول يبدأ المؤلف بتفسير سورة الفاتحة، ويخصص لها مدخلاً عاماً، ثم يتناول آياتها، ويبحث في موضوعات مثل ذكر الله، والارتباط بالله والثقة بالنفس، والبسملة في إطار المنهج التربوي الإسلامي، ومعاني «الرحمن الرحيم»، ثم ينتقل إلى «الحمد لله رب العالمين» و«مالك يوم الدين» و«إياك نعبد وإياك نستعين». وهذا يوضح أن منهجه لا يقف عند التفسير اللفظي؛ فعند تفسيره للألفاظ القرآنية يستخرج منها أبعاداً عقيدية وتربوية ونفسية واجتماعية.

ومثال آخر يظهر في المجلد السابع عشر عند تفسير سورة الفرقان، حيث يناقش بعد تفسير الآيات موضوعات مثل افتراءات المشركين، وموقفهم من القرآن، وكون القرآن مصدراً للخير الإلهي، ثم يستخرج من الآيات دروساً في مواجهة تحديات الدعوة في الواقع المعاصر^(١٥).

خامساً: أهمية التفسير يمكن إجمال أهمية «من وحي القرآن» في عدة نقاط:

١. أنه تفسير معاصر واسع يعالج القرآن بلغة قريبة من قضايا الإنسان والمجتمع.
٢. يجمع بين التحليل اللغوي والفكري والاجتماعي والتربوي.

٣. يهتم بإبراز القرآن باعتباره كتاب هداية وحركة وإصلاح، لا مجرد نص للدراسة النظرية.

٤. يقدم مناقشات نقدية لبعض الآراء التفسيرية والعقدية.

٥. يمتد على ٢٤ مجلداً، مما جعله من الأعمال التفسيرية الموسعة في العصر الحديث.

يقوم منهج السيد محمد حسين فضل الله في تفسير القرآن بالقرآن على النظر إلى القرآن الكريم بوصفه وحدة مترابطة في موضوعاته ومفاهيمه؛ فالآيات لا تُفهم دائماً بصورة منفردة، وإنما قد تكشف آية معنى آية أخرى، أو تقيد مطلقها، أو تخصص عامها، أو تفصل مجملها. وقد صرح فضل الله بأن دراسة القرآن بصورة واعية تكشف أن آياته «تتكامل في بناء الفكر الإسلامي»، وأن الآية قد تفسر آية أخرى من خلال المقارنة الموضوعية بين الآيات. (١٦).

١. اعتبار القرآن وحدة موضوعية متكاملة

من أهم الأسس التي ينطلق منها فضل الله أن القرآن لا يمثل مجموعة من النصوص المنفصلة، بل هو بناء فكري متكامل؛ ولذلك ينبغي جمع الآيات التي تتناول الموضوع الواحد، والنظر إليها مجتمعة للوصول إلى المعنى القرآني الكامل. ويؤكد في تفسيره أن الآيات تتكامل، فقد تأتي آية بمعنى أولي، ثم تأتي آية أخرى لتفسرها وتوضحها، وقد يرد الحكم في موضع بصورة عامة أو مطلقة، ثم تأتي آية أخرى فتخصصه أو تقيده. (١٧) المرجع: محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، في بحثه حول المحكم والمتشابه وتكامل الآيات القرآنية، وقد نُقل هذا النص في الدراسات التعريفية بمنهجه.

٢. ردّ المتشابه إلى المحكم

يرتبط تفسير القرآن بالقرآن عند فضل الله بمبدأ ردّ الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]. فالمحكم يمثل الأصل الذي يمكن الرجوع إليه لفهم المتشابه، ولا يصح أن نفهم الآية المتشابهة بمعزل عن بقية القرآن. ويربط فضل الله ذلك بفكرة أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأن فهم الآيات يحتاج إلى استقرار القرآن في مختلف موضوعاته. (١٨).

٣. الجمع بين الآيات التي تتناول الموضوع الواحد

من الأسس المهمة عنده التفسير الموضوعي الداخلي للقرآن؛ أي جمع الآيات التي تتحدث عن قضية واحدة، ثم محاولة استخراج التصور القرآني المتكامل منها. فبدلاً من الاختصار على الآية محل البحث، ينظر المفسر في الآيات الأخرى التي تتحدث عن القضية نفسها، لأن كل آية قد تضيف جانباً من المعنى إلى الجانب الذي تذكره الآية الأخرى. وهذا ما يعبر عنه فضل الله بقوله إن الباحث يأخذ من آية جانباً من المعنى، ومن آية أخرى جانباً آخر، للوصول إلى الفكرة القرآنية الكاملة. (١٩).

٤. تفسير المجلد بالمفصل

من تطبيقات تفسير القرآن بالقرآن عند فضل الله أن القرآن قد يذكر القضية في موضع بصورة موجزة أو مجملية، ثم يأتي في موضع آخر فيفصلها ويوضح عناصرها. وعليه، فإن الآية المجملية لا تُفسر بالضرورة من خلال المعاجم أو الروايات فقط، بل يُبحث عن المواضع القرآنية التي تناولت القضية نفسها بصورة أكثر تفصيلاً. وهذه القاعدة تُعد من القواعد العامة لتفسير القرآن بالقرآن؛ وقد عُرِف هذا النوع بأنه تفسير ما جاء مجملاً في موضع بما ورد مفصلاً في موضع آخر. (٢٠).

٥. تخصيص العام بالقرآن

من الأسس التي تظهر في منهجه أن العام القرآني قد يُفهم في ضوء آية أخرى تخصصه. فقد يأتي الحكم بصيغة عامة في آية، ثم يأتي نص آخر يبين أن المقصود ليس جميع أفراد ذلك العام، وإنما فئة معينة أو حالة مخصوصة. وهذا يدخل عند فضل الله ضمن التكامل بين الآيات، إذ يقرر أن الحكم قد يأتي عاماً أو مطلقاً في موضع، ثم نجد في موضع آخر ما يخصه أو يقيده. (٢١).

٦. تقييد المطلق بالقرآن كما يعتمد فضل الله على ردّ المطلق إلى المقيد؛ فإذا جاءت آية بلفظ مطلق، فلا ينبغي التسرع في حمله على إطلاقه قبل النظر في الآيات الأخرى التي قد تحدد دائرته أو شروطه.

وهذه القاعدة مهمة بصورة خاصة في الآيات التشريعية؛ لأن جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالحكم الواحد يساعد على تحديد المراد بدقة.

٧. تفسير الألفاظ في ضوء الاستعمال القرآني لا يكتفي فضل الله في فهم اللفظ القرآني بالمعنى المعجمي، بل يهتم بالسياق والاستعمال القرآني للكلمة، وبالمواضع التي وردت فيها.

ومن هنا يصبح تتبع اللفظ ومشتقاته في القرآن وسيلة مهمة لفهم دلالاته؛ لأن القرآن قد يكشف معنى المفردة من خلال استعمالها في مواضع متعددة. وهذا يتفق مع تأكيده على ضرورة امتلاك «الثقافة الواسعة العميقة في اللغة العربية» لفهم المعاني من الألفاظ، مع مقارنة الآيات بعضها ببعض.

٨. الاستناد إلى السياق القرآني منهج فضل الله في تفسير القرآن بالقرآن لا يقوم على اقتطاع الآيات من سياقاتها، وإنما يهتم بـ السياق السابق واللاحق وبالسياق العام للسورة.

ولهذا فإن فهم الآية يحتاج إلى ملاحظة علاقتها بالآيات التي سبقتها وتلتها، ثم ربط ذلك بالموضوع العام للسورة وبالمواضع القرآنية الأخرى ذات الصلة. وهذا يرتبط كذلك بقاعدة اعتماده على ظاهر القرآن؛ فهو يقرر أن خطه التفسيري يقوم على العمل بظاهر القرآن بحسب طبيعة الكلمة والقارئ المحيطة بها، ما لم يثبت خلاف ذلك بدليل عقلي أو نقلي. (٢٢).

٩. الاستفادة من التدبر في اكتشاف العلاقة بين الآيات

يستند فضل الله إلى قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ويرى أن التدبر يقتضي دراسة القرآن كله في موضوعاته المختلفة، للوصول إلى كيفية تفسير الآية بآية أخرى. فالتدبر عنده ليس مجرد قراءة متأنية للآية المفردة، بل هو عملية مقارنة وربط واستقراء بين النصوص القرآنية. (٢٣).

١٠. عدم عزل القرآن عن اللغة والعقل والسياق والمهم التنبيه إلى أن تفسير القرآن بالقرآن عند فضل الله ليس منهجاً آلياً منفرداً؛ فهو لا يكفي بجمع الآيات، وإنما يوظف اللغة والسياق والعقل والقارئ في فهم العلاقة بينها. وقد أشارت الدراسات التي تناولت تفسيره إلى اعتماده على ظاهر اللفظ، مع الإفادة من القرائن والسياق، وإلى أن منهجه التفسيري يتميز بالنزعة الواقعية والاجتماعية.

نماذج من تفسير القرآن بالقرآن في تفسير من وحي القرآن للسيد فضل الله قال تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿سورة الفاتحة: ٦-٧. وجه التفسير بالقرآن: تُفسَّر عبارة «الذين أنعمت عليهم» بالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ سورة النساء: ٦٩. فإن الآية الثانية تبين المقصود بالذين أنعم الله عليهم، وتوضح أن الصراط المستقيم هو طريق الطاعة والإيمان والصلاح. يربط السيد فضل الله بين آيتي الفاتحة والنساء لبيان أن الهداية المطلوبة ليست مجرد طريق حسي، بل هي طريق الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين. وتتناول صفحات تفسير الفاتحة في الجزء الأول معنى الصراط المستقيم وطريق الأنبياء ومستحقّي النعم. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ سورة البقرة: ١٥. وجه التفسير بالقرآن: لا يفهم الاستهزاء هنا على أنه سخيرة بشرية، بل يرجع في بيان معناه إلى قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ سورة الأنفال: ٣٠. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ﴾ ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ سورة التوبة: ٧٩-٧٩. يبين السياق القرآني أن مقابلة الله لاستهزاء المنافقين تكون بإظهار بطلان موقفهم وإيقاع الجزاء بهم، لا بمعنى الاستهزاء البشري الناشئ عن الجهل أو النقص. وفي تفسير «من وحي القرآن» يتناول السيد فضل الله آية البقرة، ويشرح الاستهزاء الإلهي باعتباره إنزال الهوان والحقارة بالمستهزئين، وربطه بالاستدراج والإمهال. الجزء بالمثل، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سورة الشورى: ٤٠. وجه التفسير بالقرآن: تُفسَّر الآية بالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ سورة النحل: ١٢٦. وقوله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ سورة المائدة: ٤٥. يوضح القرآن أن الجزاء بالمثل لا يعني تجاوز الحد، بل يقتضي العدل ومراعاة مقدار الاعتداء. ويكشف الجمع بين الآيات أن العقوبة ينبغي أن تكون بقدر الجناية، مع بقاء العفو خياراً مشروعاً. وقد خصّص السيد فضل الله في تفسيره موضعاً لبحث «الجزاء بالمثل» ضمن تفسير سورة الأعراف، مما يجعل هذا الموضوع مناسباً لدراسة كيفية توظيف الآيات في توضيح المعنى القرآني. نسخ الآيات وتبديل الأحكام، قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ سورة البقرة: ١٠٦. وجه التفسير بالقرآن: يُستعان بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ سورة النحل: ١٠١. فالآية الثانية تشرح جانباً من مفهوم النسخ، وتوضح أن تبديل حكم بحكم آخر كان من الأمور التي اعترض عليها المشركون. يستفيد المفسر من الآيتين في بيان أن النسخ يرتبط بالتشريع الإلهي وتبديل الأحكام وفق الحكمة الإلهية، وليس تناقضاً في القرآن، وقد تناول السيد فضل الله هذا الموضوع في تفسير سورة البقرة، وناقش معنى النسخ وتبديل مضمون الآية في إطار التشريع.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدىً للناس، وجعل آياته متآزرّة متكاملة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

- بعد دراسة مواضع تفسير القرآن بالقرآن في تفسير «من وحي القرآن» للسيد محمد حسين فضل الله، والوقوف على آلياته التفسيرية ومظاهره التطبيقية، يمكن تسجيل جملة من النتائج التي انتهى إليها البحث، وهي:
١. يُعدّ تفسير القرآن بالقرآن من المناهج المهمة في الكشف عن دلالات النص القرآني، إذ ينطلق من وحدة القرآن وترابط آياته، ويستعين ببعضها في فهم بعضها الآخر، بما ينسجم مع طبيعة الخطاب القرآني وتكامله الموضوعي والدلالي.
 ٢. اتضح أن تفسير القرآن بالقرآن عند السيد فضل الله لا يقوم على مجرد الجمع بين الآيات المتشابهة في الموضوع، بل يعتمد على قراءة دلالية وسياقية تستهدف الكشف عن المعنى الذي تتصافر الآيات في إبرازه، مع الإفادة من سائر الأدوات التفسيرية عند الحاجة.
 ٣. أظهر البحث أن هذا المنهج يمثل أحد المرتكزات التي أسهمت في بناء الرؤية التفسيرية للسيد فضل الله، القائمة على مخاطبة العقل والوعي، وربط المعاني القرآنية بقضايا الإنسان وحياته، مع المحافظة على مركزية النص القرآني في عملية التفسير.
 ٤. إن دراسة مواضع تفسير القرآن بالقرآن في «من وحي القرآن» تكشف عن أهمية هذا التفسير في الدراسات القرآنية المعاصرة، لما يتضمنه من تطبيقات متعددة لهذا المنهج، وما يثيره من قضايا تستحق مزيداً من البحث والتحليل.
- وفي ضوء ما تقدم، يوصي البحث بمواصلة دراسة المنهج التفسيري عند السيد فضل الله من خلال مقارنته بالمناهج التفسيرية الأخرى، ولا سيما التفسير الروائي والتفسير الموضوعي والتفسير العقلي، فضلاً عن إجراء دراسات متخصصة تتناول تطبيقاته في المجالات العقدية والتشريعية والأخلاقية، بما يساهم في إبراز خصائص مشروعه التفسيري وموقعه في مسيرة التفسير القرآني.
- وختاماً، فإن تفسير القرآن بالقرآن يظل من المناهج التي تؤكد وحدة النص القرآني وتكامل دلالاته، وقد أظهر تفسير «من وحي القرآن» للسيد فضل الله حضور هذا المنهج وفاعليته في بناء المعنى التفسيري، بما يفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين لاستجلاء أسرار القرآن الكريم وبيان هداياته.

الهوامش

- (١) الجرجاني : علي بن محمد بن علي ، التعريفات (بغداد : ١٩٨٦) مطابع دار الشرق الثقافية ، ٤٠ .
- (٢) السيوطي : جلال الدين بن عبد الرحمن ، الاتقان في علوم القرآن (مصر : ١٣٠٦) ٢ / ١٩٦ ؛ الصالح : صبحي ، مباحث في علوم القرآن ، ط٧ (بيروت : ١٩٧٢) ٢٨٩ ، ٢٩٠ ؛ الذهبي : محمد حسين ، التفسير والمفسرون ، ط٢ (مصر : ١٩٧٦) ١ / ٤٥ ، ٦٣ .
- (٣) الصابوني : محمد علي ، التبيان في علوم القرآن (بيروت : ١٩٧٠) ٢٩١ ، ٢٩٢ ؛ الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ٢٩٠ ، ٢٩١ .
- (٤) الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .
- (٥) السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ٢ / ١٨١ وما بعدها ؛ السامرائي ، دراسات ، ١٠١ وما بعدها .
- (٦) سورة ص : الآية ٢٩ .
- (٧) الصابوني ، التبيان في علوم القرآن ، ١٩١ ؛ الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ٢٩٤ وما بعدها .
- (٨) التفسير التحليلي بين النظرية والتطبيق - الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي - دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن - ط١ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م - ص ٣٧ .
- (٩) انظر : التفسير التحليلي بين النظرية والتطبيق ص ٣٧ .
- (١٠) نفس المرجع السابق - ص ٣٩ .
- (١١) فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ط٢، دار الملاك، بيروت، ١٤١٩ هـ، ج١، ص ٥
- (١٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣
- (١٣) عليوي، جابر محسن، البحث الدلالي في تفسير «من وحي القرآن» للسيد محمد حسين فضل الله، دمشق، تموز، ٢٠١٣ م، ٢٧٤
- (١٤) فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ج١٧، ص ٧ وما بعدها
- (١٥) فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ج٨، ص ٧ وما بعدها
- (١٦) عبد الله محمد حسن، المنهج الترجيحي في تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله، رسالة جامعية، جامعة بابل؛ وتشتمل على مبحث مستقل بعنوان «تفسير القرآن بالقرآن» ص ٣٢

- (١٧) من وحي القرآن، ص ١٣٢
- (١٨) محمد الحسيني، مطارحات في قضايا قرآنية: دراسة في تفسير من وحي القرآن، وفيه دراسة لمنهج فضل الله في سياق مناهج التفسير، ص ١٢
- (١٩) الملامح العامة لتفسير من وحي القرآن، دراسة في خصائص المنهج، ومنها العمل بظاهر القرآن والنزعة الاجتماعية والتربوية، ص ٩٨
- (٢٠) محمد الحسيني، مطارحات في قضايا قرآنية: دراسة في تفسير من وحي القرآن، وفيه دراسة لمنهج فضل الله في سياق مناهج التفسير، ص ١٢
- (٢١) من وحي القرآن، ص ١٢٤
- (٢٢) محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، ولا سيما المواضع المتعلقة بالمحكم والمتشابه والتدبر وتكامل الآيات. وتوجد نصوص الكتاب مفسرة بحسب الأجزاء والصفحات، ومنها مثلاً الجزء ١٢ ص ٨٦، والجزء ١٣ ص ١٧٩
- (٢٣) المصدر نفسه، ص ١٨٠.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، بغداد: مطابع دار الشرق الثقافية، ١٩٨٦م.
٢. الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، مصر: ١٣٠٦هـ.
٣. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، الطبعة السابعة، بيروت: ١٩٧٢م.
٤. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، الطبعة الثانية، مصر: ١٩٧٦م.
٥. التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، بيروت: ١٩٧٠م.
٦. دراسات، السامرائي.
٧. التفسير التحليلي بين النظرية والتطبيق، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٨. من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، الطبعة الثانية، دار الملاك، بيروت، ١٤١٩هـ.
٩. البحث الدلالي في تفسير «من وحي القرآن» للسيد محمد حسين فضل الله، جابر محيسن عليوي، دمشق، تموز، ٢٠١٣م.
١٠. المنهج الترجيحي في تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله، عبد الله محمد حسن، رسالة جامعية، جامعة بابل.
١١. مطارحات في قضايا قرآنية: دراسة في تفسير من وحي القرآن، محمد الحسيني.
١٢. الملامح العامة لتفسير من وحي القرآن (دراسة في خصائص المنهج).

ثانياً: الرسائل الجامعية

١. المنهج الترجيحي في تفسير من وحي القرآن للسيد محمد حسين فضل الله، عبد الله محمد حسن، رسالة جامعية، جامعة بابل. (وتشتمل على مبحث مستقل بعنوان «تفسير القرآن بالقرآن»).